د. هانيء محمد
كاتب وباحث أكاديمي

القدس
لمحة مشرقة من التاريخ والحضارة

مدينة القدس من أقدم وأقدس المدن على وجه الأرض حيث يبلغ عمرها الآن حوالي ثمانية وثلاثين قرنا من الزمان. فما من مدينة في التاريخ استأثرت باهتمام العالم والبشرية عامة، كما استأثرت به مدينة القدس، هذا الاهتمام النابع من القيم الروحية والحضارية والمكانة الدينية والتاريخية الخاصة التي تتمتع بها هذه المدينة دون سائر المدن العربية، مما جعل أنظار المستعمرين قديما تتجه إليها منذ العصور الأولى، فهي مهد المسيحية، ومحضن أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى النبي ﷺ. وقد برزت قضية القدس في العصر الحديث باعتبارها تشغل موقع القلب من القضية الفلسطينية، وتناولها لا يمكن أن يتم بمعزل عن هذه القضية المركزية التي يتمحور حولها المستقبل السياسي والاجتماعي والحضاري لشعوب المنطقة العربية بكاملها ودون استثناء. وإذا كان التاريخ الأقدم قبل الميلاد يسجل أن القدس قد أنشأها الكنعانيون العموريون النازحون من الجزيرة العربية في العصر البرونزي أي منذ حوالي خمسة آلاف عام، وبقيت تحت سيادتهم لأكثر من ألفي عام، ثم جاءها العبرانيون غازين بقيادة يوشع في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وتتالت عليها الغزوات لتكون المدينة التي نالت الجريمة الأكبر من الاستعمار في التاريخ، حيث غزاها نبوخذ نصر البابلي عام ٥٨٦ قبل الميلاد وكورش الفارسي عام ٥٣٨ قبل الميلاد، والإسكندر المقدوني عام ٣٢ قبل الميلاد والرومان عام ٦٣ قبل الميلاد.

القدس بعد الفتح الإسلامي

واستمرت تحت الحكم الروماني حتى استعادها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام ٦٣٦م -١٥هـ، وتسلم مفاتيح المدينة من البطريرك صفرنيوس ثم سلم كاهن الكنيسة المسيحية في القدس (العهدة العمرية) التي اعترفت للمسيحيين بحقوقهم الكاملة، وصارت القدس

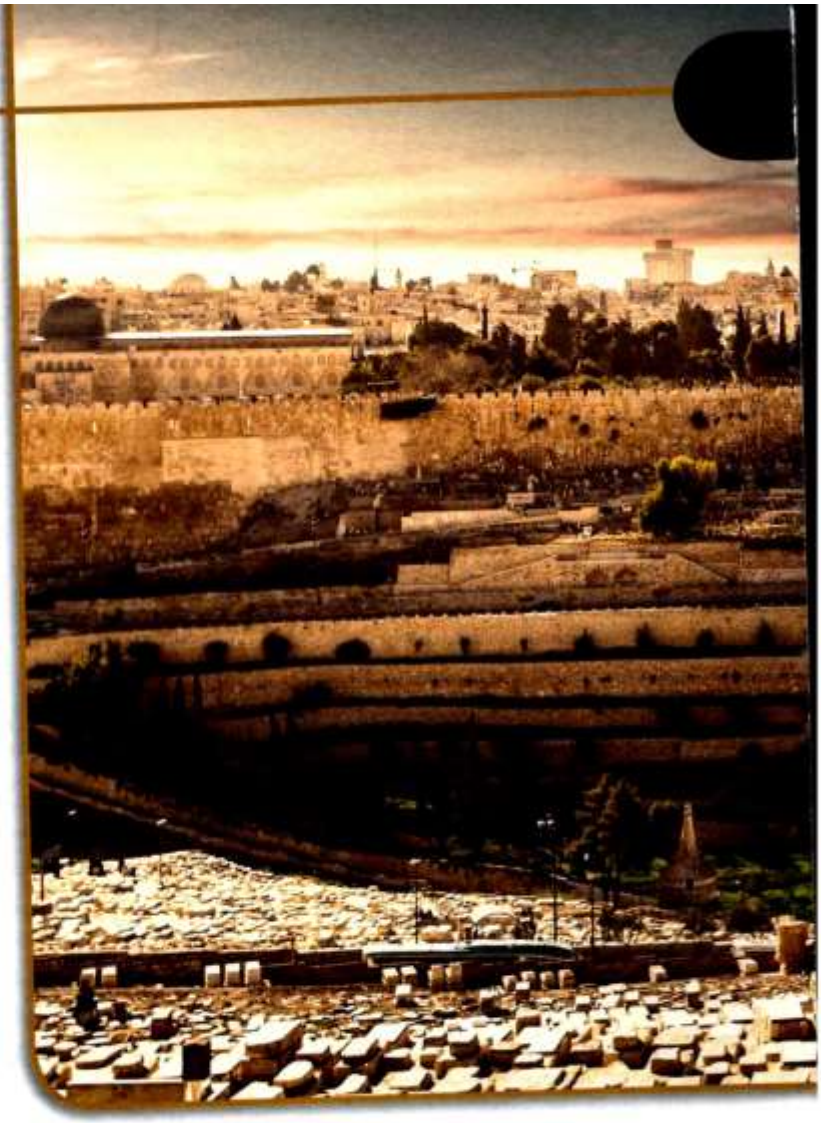

منذ ذلك التاريخ إحدى قلاع العلم والحضارة في ديار الإسلام على مختلف العصور.

احتلال القدس

ومنذ منتصف القرن السابع الميلادي وتحديدا في عام ٦٤٠م حين أتم المسلمون فتح كل فلسطين حتى اليوم لم ينقطع الوجود العربي والإسلامي بل والسيادة العربية الكاملة على الأراضي المقدسة وفى قلبها القدس إلا ٨٨ عاما فيما بين ١٠٩٩م و١١٨٧م حين غزاها الصليبيون وعاثوا فيها فسادا. وقد تمكنت جيوش المسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبي من تحرير القدس عام ١١٨٧م، ومنذ ذلك التاريخ ظلت فلسطين وقدسها في أيدي العرب والمسلمين، إلا أنهم فقدوها بسبب الاستعمار البريطاني عام ١٩١٧م الذي سلمها للمحتلين الصهاينة عام ١٩٤٨م، ثم جاء عدوان ١٩٦٧م فقامت إسرائيل باحتلال دولة فلسطين وما تبقى من مدينة القدس.

أسماء القدس

عرفت مدينة القدس منذ تأسيسها بالعديد من الأسماء منها (يبوس، مدينة داود، أور سالم، يروشاليم، بيت المقدس، القدس الشريف)، والقدس حافلة بالمباني الأثرية الإسلامية، ويوجد بها حوالي مئة بناء أثرى، منها المساجد والمدارس والزوايا والتكايا والترب الإسلامية والربط والتحصينات والعديد من المباني التي ذكرت في كتب التاريخ ومازالت معالمها قائمة حتى يومنا هذا، وهى خير شاهد على الوجود التاريخي والحضاري للمسلمين في مدينة القدس.

المعالم الدينية الإسلامية في القدس

مدينة القدس حافلة بالمباني الأثرية الإسلامية، ويوجد بها حوالي مئة بناء أثرى، منها المساجد والمدارس والزوايا والتكايا والترب الإسلامية والربط والتحصينات والعديد من المباني التي ذكرت في كتب التاريخ ومازالت معالمها قائمة حتى يومنا هذا.

المساجد في مدينة القدس

المسجد الأقصى، المسجد القبلي، قبة الصخرة، المصلى المرواني، الأقصى القديم، المسجد اليعقوبي، مسجد البراق، مسجد عثمان بن عفان، مسجد ولي الله محارب،ومسجد مقام السيوفي، مسجد سويقة علون، مسجد السلطان برقوق، مسجد الشيخ مكي، مسجد قلاوون، المسجد القيمري، مسجد المئذنة الحمراء، مسجد المولوية، مسجد الحيات، المسجد العمري الكبير، مسجد درغت، مسجد أبو بكر الصديق، مسجد عمر بن الخطاب، المسجد العمري الصغير، وغيرهم.

المسجد الأقصى المبارك

يعتبر المسجد الأقصى المبارك من أكبر المساجد وأقدسها عند المسلمين، وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ويقع المسجد

الأقصى في مدينة القدس بالبلدة القديمة. وهو كامل المنطقة المحيطة بالسور واسم لكل ما هو داخل سور المسجد الأقصى الواقع في أقصى الزاوية الجنوبية الشرقية من البلدة القديمة المسورة، وتصل مساحته إلى ١٤٤٠٠٠ متر مربع، ويشتمل على عدة معالم يصل عددها إلى ٢٠٠ معلم من ضمنها مصليات أو مساجد كالمسجد الأقصى القديم ومسجد قبة الصخرة والمسجد القبلي والمصلى المرواني ومسجد البراق وجامع النساء ومسجد المغاربة ويقع المسجد الأقصى فوق هضبة صغيرة تسمى «هضبة موريا».

قبة المسجد الأقصى المبارك

يوجد في ساحة الحرم الشريف عدة قباب فضلا عن قبة الصخرة المشرفة. تم تعميرها في الفترات الإسلامية، الأيوبية والمملوكية والعثمانية، لتكون مراكز للتدريس أو العبادة والاعتكاف، أو تخليد لذكرى حدث معين، وقد انتشرت هذه القباب في صحن قبة الصخرة وساحة الحرم الشريف وهي: قبة الصخرة، قبة الأرواح، قبة موسى، قبة مهد عيسى، قبة الخضر، قبة السلسلة، قبة المعراج، وقبة سليمان، قبة يوسف، قبة النبي ﷺ، القبة النحوية، قبة الشيخ الخليلي، قبة عشاق النبي ﷺ، قبة الميزان، قبة يوسف آغا.

مسجد قبة الصخرة المشرفة

هو ذلك البناء الذي تغطيه قبة ذهبية اللون، وتم تسميتها بقبة الصخرة نسبة إلى الصخرة التي تحتضنها والتي منها عرج النبي ﷺ، حيث يرجع تاريخ بناء هذه القبة إلى الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان عام ٦٦هـ، واستمر بناؤها لمدة سبع سنوات. وهذا المصلى عبارة عن بناء ثماني الشكل والأضلاع، وله أربعة أبواب ويوجد به ثمانية أعمدة تحيط بدائرة تحتضن الصخرة المشرفة. وترتفع الصخرة من الأرض حوالي المتر ونصف المتر، وحجمها يتراوح ما بين الثلاثة عشرة مترا وتعلوها القبة الدارية مطلية بالذهب من الخارج، وينتصب فوقها هلال ارتفاعه خمسة أمتار.

الخانات والأربطة والزوايا

الرباط: هو الإقامة في الثغور، وهي الأماكن التي يخاف على أهلها من الأعداء، وقد أسست أول الربط العسكرية في فلسطين، في القرن الثاني للهجرة، وأنشئ الكثير منها في القرن السابع الهجري.

المقابر والتربة الإسلامية

اشتهرت مدينة القدس بكثرة الفاتحين والزائرين من علماء دين وباحثين ومهتمين، يرجع ذلك لمكانتها الدينية والدنيوية المميزة والمنفردة، الأمر الذي دفع الكثير من هؤلاء الزوار والرحالة والمشاهير والعظماء الذين زاروها أو أقاموا فيها أن يوصوا بأن يدفنوا فيها، ومن المقابر والتربة الإسلامية الهامة (مقبرة مأمن الله، مقبرة المجاهدين، مقبرة باب الرحمة، المقبرة اليوسفية، مقبرة الإخشيدين، التربة الجالقية، التربة الطازية، تربة الأمير فنقباي الأحمدي... وغيرها.

المدارس التاريخية

حرص المسلمون منذ العصور الإسلامية على إقامة المدارس في المسجد الأقصى المبارك، ووقفها على الشيوخ والطلاب الذين يرابطون في هذا الموضع الشريف طلبا للعلم والثواب، ومن هذه المدارس: المدرسة الرصاصية، المدرسة الغادرية، المدرسة المحدثية، المدرسة البدرية، المدرسة السلامية، والمدرسة القشمشرية، ومن المدارس الموجودة في العصر المملوكي: المدرسة العثمانية، المدرسة المعظمية، والمدرسة الباسطية، المدرسة المنجكية، المدرسة الأرغونية، المدرسة الأمينية، المدرسة الخاتونية... وغيرها.

أسوار وقلاع وأبراج مدينة القدس

سور القدس: يمتد سور القدس حول المدينة القديمة التي تبلغ مساحتها كيلو متر مربع، وتختلف ارتفاعات السور وسماكة جدرانه من موقع إلى آخر حسب التضاريس الطبيعية للأرض، وتم بناء السور لغرضين أساسيين: أولهما لمقاومة القذائف المدفعية، والثاني لاستخدام أعلى السور كممرات علوية تسهل حركة الدفاع عن المدينة وحراسة الأسوار.
قلاع وأبراج القدس: يوجد في القدس العديد من القلاع والأبراج منه: قلعة القدس، برج اللقلق، وبرج كبريت.

المراجع

١- د. عواطف عبد الرحمن: القدس في الصحافة العربية، سلسلة مطبوعات اتحاد الصحافيين العرب.
٢- «قضية القدس.. رؤى وآراء»، إعداد: محمد الصواف، وعصام محمد سعد، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٣- «القدس.. التاريخ والحضارة»، إعداد: قطاع الإعلام والاتصال بجامعة الدول العربية/ قطاع فلسطين والأراضي العربية المحتلة.

الأقصى في مدينة القدس بالبلدة القديمة. وهو كامل المنطقة المحيطة بالسور واسم لكل ما هو داخل سور المسجد الأقصى الواقع في أقصى الزاوية الجنوبية الشرقية من البلدة القديمة المسورة، وتصل مساحته إلى ١٤٤٠٠٠ متر مربع، ويشتمل على عدة معالم يصل عددها إلى ٢٠٠ معلم من ضمنها مصليات أو مساجد كالمسجد الأقصى القديم ومسجد قبة الصخرة والمسجد القبلي والمصلى المرواني ومسجد البراق وجامع النساء ومسجد المغاربة ويقع المسجد الأقصى فوق هضبة صغيرة تسمى «هضبة موريا».

قبة المسجد الأقصى المبارك

يوجد في ساحة الحرم الشريف عدة قباب فضلا عن قبة الصخرة المشرفة، تم تعميرها في الفترات الإسلامية، الأيوبية والمملوكية والعثمانية، لتكون مراكز للتدريس أو العبادة والاعتكاف، أو تخليد لذكرى حدث معين، وقد انتشرت هذه القباب في صحن قبة الصخرة وساحة الحرم الشريف وهي: قبة الصخرة، قبة الأرواح، قبة موسى، قبة مهد عيسى، قبة الخضر، قبة السلسة، قبة المعراج، وقبة سليمان، قبة يوسف، قبة النبي ﷺ، القبة النحوية، قبة الشيخ الخليلي، قبة عشاق النبي ﷺ، قبة الميزان، قبة يوسف آغا.

مسجد قبة الصخرة المشرفة

هو ذلك البناء الذي تغطيه قبة ذهبية اللون، وتم تسميتها بقبة الصخرة نسبة إلى الصخرة التي تحتضنها والتي منها عرج النبي ﷺ، حيث يرجع تاريخ بناء هذه القبة إلى الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان عام ٦٦هـ، واستمر بناؤها لمدة سبع سنوات. وهذا المصلى عبارة عن بناء ثماني الشكل والأضلاع، وله أربعة أبواب ويوجد به ثمانية أعمدة تحيط بدائرة تحتضن الصخرة المشرفة. وترتفع الصخرة من الأرض حوالي المتر ونصف المتر، وحجمها يتراوح ما بين الثلاثة عشرة مترا وتعلوها القبة الدارية مطلية بالذهب من الخارج، وينتصب فوقها هلال ارتفاعه خمسة أمتار.

الخانات والأربطة والزوايا

الرباط: هو الإقامة في الثغور، وهي الأماكن التي يخاف على أهلها من الأعداء، وقد أسست أول الربط العسكرية في فلسطين، في القرن الثاني للهجرة، وأنشئ الكثير منها في القرن السابع الهجري.

المقابر والتربة الإسلامية

اشتهرت مدينة القدس بكثرة الفاتحين والزائرين من علماء دين وباحثين ومهتمين، يرجع ذلك لمكانتها الدينية والدنيوية المميزة والمنفردة، الأمر الذي دفع الكثير من هؤلاء الزوار والرحالة والمشاهير والعظماء الذين زاروها أو أقاموا فيها أن يوصوا بأن يدفنوا فيها، ومن المقابر والتربة الإسلامية الهامة (مقبرة مأمن الله، مقبرة المجاهدين، مقبرة باب الرحمة، المقبرة اليوسفية، مقبرة الإخشيدين، التربة الجالقية، التربة الطازية، تربة الأمير فنقباي الأحمدي... وغيرها.

المدارس التاريخية

حرص المسلمون منذ العصور الإسلامية على إقامة المدارس في المسجد الأقصى المبارك، ووقفها على الشيوخ والطلاب الذين يرابطون في هذا الموضع الشريف طلبا للعلم والثواب، ومن هذه المدارس: المدرسة الرصاصية، المدرسة الغادرية، المدرسة المحدثية، المدرسة البدرية، المدرسة السلامية، والمدرسة القشمشرية، ومن المدارس الموجودة في العصر المملوكي: المدرسة العثمانية، المدرسة المعظمية، والمدرسة الباسطية، المدرسة المنجكية، المدرسة الأرغونية، المدرسة الأمينية، المدرسة الخاتونية... وغيرها.

أسوار وقلاع وأبراج مدينة القدس

سور القدس: يمتد سور القدس حول المدينة القديمة التي تبلغ مساحتها كيلو متر مربع، وتختلف ارتفاعات السور وسماكة جدرانه من موقع إلى آخر حسب التضاريس الطبيعية للأرض، وتم بناء السور لغرضين أساسيين: أولهما لمقاومة القذائف المدفعية، والثاني لاستخدام أعلى السور كممرات علوية تسهل حركة الدفاع عن المدينة وحراسة الأسوار. قلاع وأبراج القدس: يوجد في القدس العديد من القلاع والأبراج منه: قلعة القدس، برج اللقلق، وبرج كبريت.

المراجع

١- د. عواطف عبد الرحمن: القدس في الصحافة العربية، سلسلة مطبوعات اتحاد الصحافيين العرب.

٢- «قضية القدس.. رؤى وآراء»، إعداد: محمد الصواف، وعصام محمد سعد، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣- «القدس.. التاريخ والحضارة»، إعداد: قطاع الإعلام والاتصال بجامعة الدول العربية/ قطاع فلسطين والأراضي العربية المحتلة.